تونس

بلدة اولى في جغرافيتها

تونس بلاد بافريقية بين ٣٠° و٣٧° من العرض الشمالي و٨° و ١١° من الطول الشرقي يحدّها شمالاً البحر المتوسّط وغرباً الجزائر وجنوباً الصحراء الكبيرة وشرقاً طرابلس الغرب والبحر المتوسط. اعظم طولها من الشمال الى الجنوب ٤٤٠ ميلاً ومعدّل عرضها ١٦٠ ميلاً فمساحتها نحو سبعين الف ميل مربّع وعدد سكانها مليونان على ما في التقاويم الاخيرة من مغاربة واتراك ونصارى ويهود وكولوغليين. فهي تفوق سورية مساحةً وتساويها سكاناً وتخرقها فروع من سلسلة جبال اطلس يبلغ ارتفاع قممها من اربعة آلاف الى خمسة آلاف قدم. وشماليها كثير التحور والتخلجان التي اكبرها خليج تونس. وشرقيها رمال فسيحة جرداء الّا ان فيه خليجين كبيرين احدهما خليج حمّامات والآخر خليج قابس وجنوبيها يختلط بالصحراء ويعرف بالجريد. وليس فيها من البحيرات العذبة ما يستحق الذكر الّا بحيرة بنزرت قرب حدها الشمالي. وانهارها اما ان تغيض في الرمال او تصب في البحر بعد ان تجري مسافة يسيرة وكلها لا تصلح لسير السفن فيها لصغرها واكبرها نهر مجردا الذي يجري اكثر جريه شمالاً بشرق حتى يصب في خليج تونس. وفيها ينابيع حارّة ومعدنية وهواؤها جيد ومعدّل حرارتها ٧٠° ف (معدل شتائها ٥٦° ومعدل صيفها ٨٤°) وتربتها على غاية الجودة ينبت فيها القمح والشعير والذرة والقطاني والزيتون والبرتقال والعنب والتين والرمان واللوز والنخل وهو اجود نخل افريقية كلها. وفيها مواشٍ كثيرة وغنمها مشهورة بصوفها وخيلها وهجنها بكرامة اصلها. واشهر معادنها الملح وملح البارود والرصاص والزئبق وفي جبالها ايضاً الفضة والنحاس. ولها على سواحل البحر ولاسيما في مدينتي تونس وسوسه متاجر رائجة في الشالات والطنافس والطرابيش والحشائح والبرانس والجوخ الملوّن والزيت والشمع والعسل والصابون والجلد والمرجان والاسفنج والتمر والقمح والشعير. وتحمل القوافل منها الى داخل افريقية الجوخ والجلد والحرير والمصلبا والاقاويه والدودة والاسلحة وتَرِد عليها من هناك بالسنا والصموغ وريش النعام والذهب والعاج. وقد بلغت قيمة الصادر منها ٦٨٧٦٨٠ ليرة انكليزية والوارد اليها ٤٧٣٦٥٠ ليرة انكليزية في سنة ١٨٧٦.

من امهات مدنها تونس والقيروان وصفاقس. اما تونس فحاضرة البلاد وهي واقعة بالقرب من بحيرة تونس والى الجنوب الغربي منها بعيدةً نحو ثلثة اميال عن خَرِب قرطاجنة ومبنية على ارض مرتفعة ومحاطة بسور هي وضواحيها. وازقتها مفروشة بالبلاط واسواقها مسقوفة بالبضائع وفيها قصور

باذخة باهية وجوامع وكنائس ومجامع متقنة اشهرها جامع الزيتونة وزخرفًا قصر الباي فانهُ يسطع من الداخل بالذهب واللعل واللازورد وغرفهُ كبيرة وقاعتهُ فسيحة وعمادهُ رفيعة. ومن ابنيتها الموصوفة جامع يوسف وهو مشهور بعمادهِ والقلعة التي ابتدأ شارل الخامس بناءها واتمها دون جون النمساوي وهي مشهورة بما فيها من الاسلحة القديمة. وفيها قشل فسيحة يسع بعضها اربعة آلاف نفس. وفيها المدرسة الصادقية تشتمل على ١٥٠ طالبًا والجامع الاعظم على ٦٩٥ طالبًا ومكتب اليهود على ٨٥٠ طالبًا ومكاتب أُخَر عديدة وجميع مَنْ في مدينة تونس من التلامذة ٥٨٦٠ تلميذًا وجميع مَنْ في بلاد تونس كلها من التلامذة زيادة على ما ذُكِر نحو ١٢٢٧٠ تلميذًا على ما في النزهة الخيرية للسيّد الحاج حسن لازاغلي سنة ١٨٧٦. وفيها مطبعة وجريدة الرائد التونسي الشهيرة. وسكانها ١٢٠ الفَ نفس. حكومتها ملكية انتخابية ولقب حاكمها الباي

نبذة ثانية في تاريخها

بلاد تونس هي بلاد قرطاجنّة قديمًا وكانت مدينة تونس ايام قرطاجنة قريةً صغيرةً فلما تغلّب العرب على قرطاجنة اخذت تعمر وتكبر. وكان بعض بلاد تونس يُسمّى في ايام الرومان افريقية. وفي سنة ٨٠٠ استولت عليها دولة الاغالبة في القيروان. ثم الدولة الفاطمية (٩٠٩) ودولة صنهاجة (٩٧٣) ودولة الهاديين (١١٦٠) ودولة بني ابي حفص (١٢٠٦) وجعلوها مملكة مستقلة استمرّت اجيالًا كثيرة وفي ١٥٣٤ اخضعها خير الدين لدولة الاتراك فحاربهُ شارل الخامس ملك اسبانيا وقهرهُ وردّ الملك لصاحبهِ في السنة التالية. وفي ١٥٧٥ عاد الاتراك فاخضعوها تحت قيادة سنان باشا

وفي بداءة القرن التاسع عشر قام حموده باشا وابطل الجزية التي كانت تونس تدفعها للجزائر في القرن الثامن عشر واقام جيشًا تونسيًّا فاستقلّت تونس حينئذٍ. وفي ١٨٧١ صدر فرمان من السلطان عبد العزيز بالغاء الجزية التي كانت تونس تدفعها للباب العالي على شرط ان السلطان يوافق على تسمية الباي اميرًا عليها وان الباي لا يشهر حربًا ولا يعقد صلحًا ولا يبطل جزية الّا برضى الباب العالي ولا يسكّ نقودًا ما لم يضرب عليها سكة السلطان. ويكون مطلقًا في ما سوى ذلك

هذا وقد اشتهر امراؤها احمد باي (١٨٣٧) ومحمد باي (١٨٥٥) ومحمد صادق باي (١٨٥٩) من الدولة الحسينية بعتق الرقيق والغاء الاسترقاق واشتهار المساواة وتخفيف الرسوم الثقيلة عن الاهالي وجمع الجند بالاكتتاب وتشكيل المجالس الى غير ذلك من الاعمال الحميدة. وكانت علاقاتها مع الفرنساويين حسنة ولكنهم ثاروا بها حديثًا على حين غفلةٍ من العالم. وادخلوها تحت حمايتهم على ما في الاخبار الاخيرة